

تعليم العلم الانسانية في فلسطين المحتلة : الدكتور احمد طرين

التاريخي الديني القديم بالذات . وهو تناقض بين المعطيات الفكرية والروحية يوجه سياسة الدولة والتعليم . وبين متطلبات العلم الحديث ومستلزمات بناء الدولة المصرية . ويظهر تارة في التصادم بين الصهاينة السياسيين من ناحية ، وبين المتشددين الاثوثكس المتدينين من ناحية اخرى ، وينعكس هذا التصادم على الصعيد التعليمي ، يبرز الاتجاه الديني الذي تمثله الاحزاب المتدينة وعلى رأسها (المزراحي) ، والاتجاه العلماني الذي تمثله الاحزاب العمالية والاشتراكية ، ويقابلها نظام للتعليم المدني ونظام للتعليم الديني . والصهيونية التي تستغل الدين لاجتذاب يهود العالم الى فلسطين كان لا بد ان تواجه الصدام المحتوم مع اليهود الشرقيين الذين يختلفون عن اليهود الغربيين حضاريا بحكم اتصال هؤلاء بالغرب الاوربي في حضارته وتاريخه . فاليهود الغربيون ، سواء كانوا صهاينة ام غير صهاينة ، كانوا يلتقون مع الصهيونية في ارتباطها بمصادر الحضارة الغربية التي تتجه الى العلم والعقل . ومن هنا برزت مشكلة عدم التجانس بين اليهود الغربيين (الاشكناز) وبين اليهود الشرقيين (السفارديم) ، مما حدا بالسلطات للعمل على (تفريب) اليهود الشرقيين من طريق حفز مشاعر التعلق بالارض التي تجمع اليهود وتوحد آمالهم ، وخاصة اذا اتزن ذلك بالمبالغة في تعظيم أعمال الرواد الاوائل الذين اسهموا في تأسيس دولة اسرائيل ، وهم في كثيرهم من اليهود الغربيين الذين يروق لهم دائما ان يشبهوا منجزاتهم بمنجزات الرواد المكتشفين الامريكان في القارة الجديدة من حيث تفانيهم في حب العمل والتعاون والكشف والانتدام . على أن تنمية الروح العسكرية بين مختلف فئات المجتمع الاسرائيلي هي عامل مساعد على صهرها في بؤرة من التجارب والمضامير المشتركة . ويتم ذلك بواسطة التدريب العسكري (الجنداع) المفروض على طلبة المدارس الثانوية . ويتم أيضا في طلائع الشبيبة الحاربية (ناهال) المرابطة في مستوطنات الحدود . هذا بالإضافة الى انخراط المدارس الثانوية لا يسمح لهم بدخول الجامعة الا بعد قيامهم بالخدمة العسكرية التي هي بعد ذاتها وسيلة اساسية من وسائل توحيد الثقافة والمضامير ، مضافا اليها اللغة

ان الارتباط المضوي بين اهداف المجتمع الاسرائيلي وحاجاته وبين اهداف التعليم الاسرائيلي يظهر بوضوح تام ، نظرا لطبيعة دولة اسرائيل التي قامت على اساس اجتذاب يهود العالم من مواطنهم الاصلية وحشدهم في فلسطين على صعيد واحد . وتبرز عملية التربية والتعليم كأهم وسيلة لتحقيق اهداف رئيسية ثلاثة : ١ - بناء مجتمع يهودي موحد يتألف من الجماعات اليهودية التي تجتمعت على ارض فلسطين . ٢ - بناء دولة عصرية ذات قوة مادية ومعنوية . ٣ - حماية التراث اليهودي ونشره وتعميق الشعور به بين الناشئة اليهود في اسرائيل ، كيما تصبح واسطة العقد ومركز الاتصال بين يهود العالم ، ولتصبح المعبرة الاولى عن قيم الشعب اليهودي ومنجزاته .

ويعتبر الهدف الاول هو الهدف الاهم الذي لا يتحقق الهدفان الاخران بدونيه . فقد اورد القاتون الرسمي للتعليم الذي صدر عام ١٩٥٣ ، اهداف التعليم على النحو التالي :

« ارساء الاسس القويبة على قيم الثقافة اليهودية ومنجزات العلم وعلى محبة الوطن والولاء للدولة وللشعب اليهودي ، وعلى ممارسة الاعمال الزراعية والحرفية ، وعلى التهيئة لوجود رائد ، والعمل على تشييد مجتمع تسوده مبادئ الحرية والمساواة والتسامح والتعاون ومحبة الجنس البشري » (١) . وفي عام ١٩٥٩ اورد البيان الوزاري تفسيراً لعبارة (قيم الثقافة اليهودية) بقوله : « ستسمى الحكومة في المدرسة الابتدائية كما في المدرسة الثانوية والدراسات المتقدمة ، الى تعميق الوعي اليهودي بين شبان اسرائيل ، وعلى ترسيخ جذورهم في ماضي الشعب اليهودي ، وفي تراثهم التاريخي وعلى تقوية العلاقات الاخلاقية التي تربط بين هؤلاء الشبان ، وبين اليهود في العالم - هذه العلاقات التي تنمو في وهي المصدر المشترك وفي الاستقرار التاريخي الذي يوحد بين يهود العالم جميعا عبر الحدود والازمنة » (٢) .

ولسنا في معرض شرح التناقض الحتمي في مضمون هذا الهدف ، بين تكوين مجتمع يوحد تراث تاريخي ديني قديم ، وبين بناء دولة عصرية تعتمد لا على العقل والعلم وحدهما ، وانما على هذا التراث